

قِرَاءَةٌ في وَصِيَّةِ

صَاحِبِ الفَضِيْلَةِ

الشَّيْخِ العَلَّامَةِ: عَبْدِ اللّهِ بِن عَوَضِ بُكَيرٍ

حررها واعتنى بطباعتها ونشرها:

حفيدُه

عبد الله بن عبد الرحمن عبد الله بكير

قِرَاءَةٌ في وَصِيَّةِ

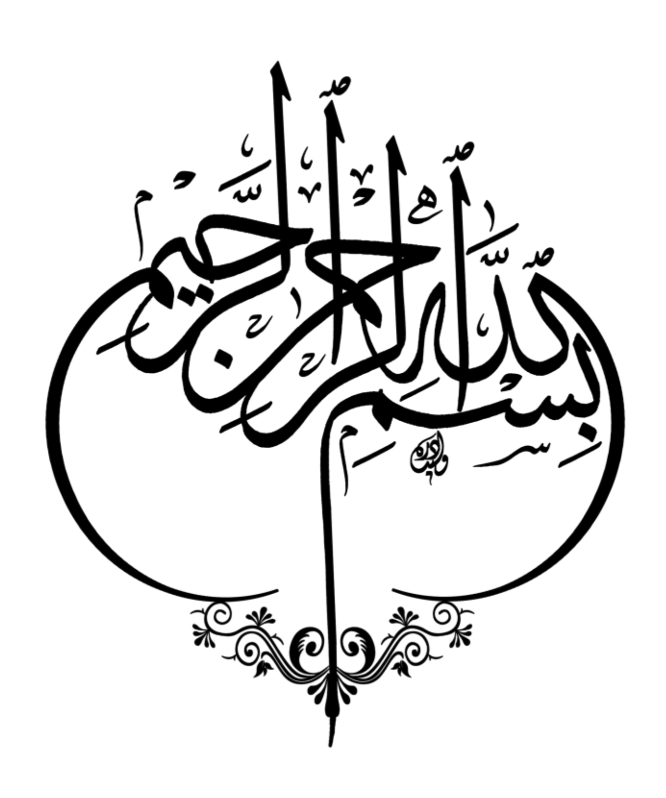
صَاحِبِ الفَضِيلْةَ

الشَّيْخِ العَلَّامَةِ: عَبْدِ اللّٰهِ بِن عَوَضِ بُكَيرٍ

حررها واعتنى بطباعتها ونشرها:

حفيدهُ

عبد الله بن عبد الرحمن عبد الله بكير


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، القائل في محكم كتابه: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [سورة البقرة:132]، والصلاة والسلام على من أرسله –سبحانه وتعالى– رحمة للعالمين، هادياً وبشيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هديه وسنته، واقتدى بأثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنني لا أتذكر تحديداً ليوم أو لشهر أو لعام متى كان أول علمي أو اطلاعي على وصية صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عوض بكير –رحمة الله عليه–؛ غير أن الأقرب إلى ظني هو: مع إطلالة العقد الثامن من القرن الميلادي العشرين.

وربما كانت في إحدى زيارات سيدي الوالد –رحمه الله– إلى بغداد؛ إذ كنت حينها أحضر لرسالة الماجستير في علوم اللغة الإنجليزية وآدابها.

وظلت هذه الوصية قريبة مني أتصفحها وأتدبر معانيها من حين لآخر، وعندما طلب مني سيدي الوالد –رحمة الله عليه– مراجعة مسودة كتابه: **(القضاء في حضرموت في ثلث قرن)**، التي أكمل كتابتها في العام الهجري (1386)، الموافق للعام الميلادي (1966)، وتمت طباعة الكتاب ونشره بعد ذلك في العام الهجري (1423)، الموافق للعام الميلادي (2002)، ضمن إصدارات المعهد العالي للقضاء؛ عندها عرضت على الوالد فكرة ضم الوصية إلى ملاحق الكتاب الأخرى، فقبل الفكرة، واستحسنها، ووجه بتنفيذها.

وكنت بذلك أهدف إلى أمور عدة، أهمها: حفظها، وإبعادها من مخاطر الضياع والنسيان والتلف؛ لما لها من أهمية كبيرة في (أدب الوصية الشرعية)، إذا جاز لي هذا التعبير.

وما أثار لدي الكتابة عنها الآن وبعد كل هذه السنوات: المحتوى الوعظي والإرشادي والتوجيهي المنطلق من جوهر تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وشريعته الغراء، التي تشدنا وتبعدنا عنها أحياناً مباهج الحياة الدنيا وزينتها.

ومما أثار لدي الكتابة عنها أيضاً: وضوح العبارة، وسلامة اللغة والمنهجية التي اتبعت في كتابتها وصياغتها وترتيب أفكارها، وهي وإن جاءت عفوية في بعض جوانبها، كونها تخاطب الأبناء والبنات، إلا أنها كتبت بقلم خبير في الكتابة الشرعية، فقيه متفقه في علوم الشريعة.

هذه الإشارة تقودنا إلى حقيقة أخرى، وغاية من غايات كتابة هذه الوصية، وهي وإن كانت موجهة من أب لأبنائه وبناته "**وأولادهم وأولاد أولادهم ما تناسلوا**"، كما تقول الوصية في مطلعها؛ فإنها موجهة إلى غيرهم من إخوانهم وأخواتهم من أبناء الأمة الإسلامية ممن يرغب في الانتفاع بها كما تشير الوصية قبيل خاتمتها: "**يا بني! هذه وصاياي ونصائحي أقدمها لكم خاصة، وآمل من كل من اطلع عليها من غيركم أن يأخذ منها ما يرغب في الانتفاع به**".

وهذا ما دفعني أكثر إلى قراءتها قراءة متأنية مستنبطاً منها بعض الدروس والعبر، ومحاولاً محاولات متواضعة الوقوف عند بعض معانيها ودلالاتها وموجهاتها، وإن كنت لست من أصحاب الأقلام الخبيرة في البحث والدراسة في مثل هكذا حقول، فإنني أسطر هذه السطور

المتواضعة لأدلو بدلوي في فهم هذه الموجهات والنصائح من أب لأبنائه وأحفادهم من بعده ومن بعدهم، وهو يتهيأ لمفارقة هذه الدنيا الزائلة، والحياة الفانية، متلهفاً ومتعطشاً للقاء ربه، محسناً الظن فيه أن يتغمده بواسع رحمته وموفور مغفرته، ويسكنه فسيح جناته، إنه رؤوف رحيم بعباده –سبحانه وتعالى–.

وأترك المجال لأصحاب الاختصاص العلمي لأن يقولوا كلمة الفصل في مثل هذه القضايا الشرعية التي يدعونا إليها ديننا الإسلامي الحنيف، ويحثنا على اتباعها.

وإني وإن كنت حريصاً على طباعتها ونشرها فإنما هدفت من ذلك إلى أن تعم الفائدة الناس أجمعين، كما وردت صريحة على لسان صاحب الفضيلة –رحمة الله عليه–.

وباعتقادي أن نشرها للناس كافة ستكون في منطوق الصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به، التي أوصانا بها خير الأنام –عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام– في قوله: **((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له))** رواه

الترمذي والنسائي، وأن أكون بهذا العمل المتواضع في قراءة هذه الوصية وطباعتها ونشرها من الولد الصالح الذي يدعو له.

ولا نجد في هذا المقام غضاضة من الإشارة الموجزة إلى أن للسلف الصالح بدءاً من الخلفاء الراشدين –رضوان الله عليهم أجمعين–، ثم من تلاهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وغيرهم من أولياء الله الصالحين قصب السبق في الأخذ بهذه السنة النبوية في الوصية الشرعية، فما الخطبة التي قالها الرسول الأكرم والنبي الأعظم –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– في حجة الوداع في العام العاشر للهجرة النبوية إلا وصية شرعية موجهة للمسلمين كافة؛ لتكون نهجاً ومنهاجاً لهم خاصة، وللإنسانية عامة؛ ليأخذوا بمبادئها، ويسترشدوا بأهدافها، ومنها قوله –عليه الصلاة والسلام–: **((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))** رواه الترمذي.

وإذا كانت خطبة الوداع قد تعرضت لقضايا المسلمين في حياتهم

الخاصة والعامة، وفي أمور دينهم ودنياهم، فإن من يريد أن يستزيد ويعب من معينها فليرجع إليها بنصها، وبما كُتِب حولها من بحوث ودراسات.

وأما هذا الاقتباس الموجز من الخطبة فهو عبارة جامعة مانعة كما يقول فقهاء اللغة والبلاغة، شملت كل قضايا الدين والدنيا، وهو الذي –عليه الصلاة والسلام– قد أوتي جوامع الكلم.

وبذلك تعتبر خطبة حجة الوداع وصية الوصايا إذا جاز التعبير، نهل من معينها كل السلف الصالح، ولقد كانت وصية الخليفة الراشد الأول سيدنا أبو بكر الصديق –رضي الله عنه وأرضاه– تصب في نفس السياق، وجهها لخليفة المسلمين من بعده سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه وأرضاه–، والتي قال في جزء منها: "**إن لله –عز وجل– حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله –عز وجل– حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه –عز وجل– لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة**"، ومما قاله فيها أيضاً: "**ألم تر أن الله –عز وجل– أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء، لكي يكون العبد راغباً راهباً، لا يلقي بيده إلى التهلكة**".

بل إننا نجد في سيرة الأنبياء والمرسلين –صلوات الله عليهم وعلى نبينا وأفضل التسليم– مما ورد في القرآن الكريم بهذا الصدد ما يغني ويفيد، مثل ما أوصى لقمان ابنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة لقمان:13] إلى آخر ما في الآيات من موجهات ونصائح متعلقة بالإنسان في دينه ودنياه، وما أورده القرآن الكريم على لسان سيدنا يعقوب –عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام –: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة البقرة:133].

فما أحوجنا لمثل هذه الوصايا، وما أحرانا في اتباع نصائحها وموجهاتها، خاصة في هذا الزمن الذي توسعت فيه دائرة العتمة، وتقلصت فيه دائرة النور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إذن: فالوصية الشرعية كما أرى –والله أعلم– ليست فقط جائزة، ولكنها تأتي في إطار الواجب الشرعي لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويؤيد

ذلك قول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: **((ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده))** رواه البخاري ومسلم.

صاحب الفضيلة:

وما سبقت الإشارة إليه في الصفحات التي خلت فهو متعلق بالوصية ذاتها، أما صاحب الوصية الشيخ العلامة: عبد الله بن عوض بكير، فهو غني عن التعريف، وبالذات في موطنه ومسقط رأسه حضرموت، ومعروف للقاصي والداني في مجال الفقه وعلوم الشريعة الإسلامية، وفي مجال القضاء الشرعي، فقد تقلد منصب قاضي مدينة المكلا عام (1351 هجرية) الموافق (1933 ميلادية)، عندما استدعي من قبل السلطان: عمر بن عوض القعيطي، وكلفه بهذا المنصب، ثم كلف في العام الهجري (1355) الموافق للعام الميلادي (1936) رئيساً لمجلس القضاء العالي، في عهد السلطان: صالح بن غالب القعيطي، واستمر في هذا المنصب حتى عام تقاعده (1385 هجرية) الموافق (1966 ميلادية).

ولسنا هنا في مجال الحديث عن هذه الفترة وأهميتها في ترسيخ بنيان وقواعد القضاء الشرعي وعودة إلى كتاب الوالد –رحمة الله عليه–: **(القضاء في حضرموت في ثلث قرن)**، والتي سبقت الإشارة إليه، فيه ما يروي ظمأ من يريد أن يستزيد، وهناك أيضاً عدد من الرسائل والبحوث العلمية التي تعرضت لتاريخ هذه الفترة، وتاريخ صاحب الفضيلة –عليه رحمة الله–.

لقد ولد صاحب الفضيلة بمدينة غيل باوزير، عام (1314 هجرية) الموافق للعام الميلادي (1896)، من أسرة فلاحية نزحت من وادي حضرموت إلى ساحله من قرية بور من ضواحي مدينة سيئون، وأخذ قسطاً من التعليم الأولي في كُتَّاب الشيخ المعلم العبد بن سالم السيود في قرية القارة، حيث كانت تسكن أسرته، ثم التحق بمدرسة الشيخ عمر بن مبارك بادباه في قرية الصداع، على بعد عدة أميال من قرية القارة، وهناك انكب على دراسة الفقه وعلوم القرآن وتفسيره والحديث واللغة العربية، واستمر في دراسته على يد الشيخ بادباه فترة تربو على الخمسة عشر عاماً، كان فيها مثالاً للتلميذ المجد والمثابر رغم شظف العيش وصعوبته، كما قرأ –رحمة الله عليه– على يد الشيخ عمر بن سالم بن يعقوب باوزير

في مدينة غيل باوزير، ثم أصبح بعد ذلك معلماً وعالماً تشهد له بذلك مجالس العلم والعلماء، وصاحب الفضيلة كما سبق وأن كتبت عنه في تقديم كتاب: **(القضاء في حضرموت في ثلث قرن): "شخصية توسعت مداركها العلمية والفقهية، أخذت العلم من منابعه، واغترفت من صافي وأنقى مشاربه، واستوعبته بعقل حصيف راجح، متفتح غير منغلق ولا متجمد، تنبئك عنه جملة من الفتاوى الشرعية والأحكام القضائية، والعديد من المساجلات والتقريظات الفقهية على بعض الأحكام والفتاوى الصادرة، فيقول فيها رأيه السديد المعتمد على النصوص والأدلة الشرعية، وعلى المنطق العلمي، وعلى الدراية والخبرة والحكمة، وعلى سعة اطلاع بمقاصد التشريع وبُعد أفق، يغمرها كلها ويلفها فوق هذا وذاك ومضة نورانية من تواضع العلماء وشفافيتهم ورهافة إحساسهم، فيا لها من موهبة، ويا لها من نعمة إلهية".**

وتوفي صاحب الفضيلة –رحمه الله وغفر له– في يوم الإثنين السابع عشر من جمادى الآخرة، من عام: (1399 هجرية)، الموافق لليوم الرابع عشر من شهر مايو (1979 ميلادية)، وواري جسده الطاهر التراب صبيحة اليوم التالي، بمقبرة الشيخ يعقوب بمدينة المكلا، وقد حضر

تشييعه جمع غفير مشهود، تاركاً لأبنائه وبناته وأبنائهم من بعدهم وأبناء المسلمين جميعاً هذه الوصية التي نحن بصدد الكتابة عنها.

قراءة في الوصية:

ونعود للحديث عن نص الوصية التي بين أيدينا لنؤكد القول مجدداً بأنها وإن كانت موجهة خصيصاً لأبناء وبنات صاحب الفضيلة –رحمة الله عليه– "**وأولادهم وأولاد أولادهم ما تناسلوا**"، كما تفيد الوصية؛ إلا أنها لا تنسى عموم المسلمين كما سبق الإشارة إلى ذلك وبالنص الصريح، وهذا ما كان صاحب الفضيلة –عليه رحمة الله– يهدف إليه، وهنا نجد بعداً كبيراً ومهماً في التفكير يتجاوز الخاص إلى العام؛ وهو من صفات بل ومن واجبات الدعاة إلى دين الله تعالى، ومن صلب مهامهم الدينية، هكذا يبدو لي الأمر من سياق العبارة: "**وآمل من كل من اطلع عليها من غيركم أن يأخذ منها ما يرغب في الانتفاع به**"، وهكذا أراه مما عرفته عن قرب عن صاحب الفضيلة من سجايا حميدة، ونبل مشاعر، وحرص شديد في نشر الدعوة الإسلامية، وإبراز قيمها الإنسانية كلما وجد إلى ذلك سبيلاً، وهذا هو من بين أشياء كثيرة أخرى دفعتني إلى دراسة هذه

الوصية، وتقصي دلالاتها ومضامينها، والتعليق على بعض المفاهيم والفكر الواردة فيها حسب استطاعتي، وبقدر إمكانياتي المتواضعة، وبتوفيق من الله أولاً وآخراً.

ولقد كتبت هذه الوصية في عام (1392هجرية) الموافق للعام الميلادي (1972)، أي: قبيل وفاته –رحمه الله– بسبع سنين تقريباً، وتقسم الوصية إلى سبعة عشر بنداً أو فقرة، تبدأ بفاتحة موجزة، وتنتهي بخاتمة هي: خير الكلام كلام الله –عز وجل–.

يستفتح –رحمه الله– وصيته بقول الله –عز وجل–: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة القصص:88]، هذه الآية تشكل الاتجاه الأساسي للوصية، وإحدى الحقائق والثوابت الكونية الربانية، تذكر بالموت ونهاية الخلق، وأن كل شيء في هذا الكون إلى زوال، ولا حي ولا قيوم إلى ذو الجلال والإكرام، الذي يرجع إليه الأمر كله، يقول رب العزة والجبروت في سورة الأنبياء: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [سورة الأنبياء:104]، ويقول –تبارك وتعالى– في سورة

الرحمن: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام (27)**﴾ [سورة الرحمن:26-27].

ولقد وفق الله -سبحانه وتعالى- صاحب الفضيلة بأن يستفتح وصيته بهذه الآية، وهو اختيار موفق، وفيه زجر ووعيد لمن غفل عن يوم الساعة الذي لا مفر منه ولا تأجيل، ولمن استهوته الدنيا بمباهجها الزائلة، وأسرته بملذاتها الفانية، وغفل أو تهاون في الإعداد للآخرة التي هي ﴿**خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [سورة الأعلى:17] للإنسان.

وواضح أن صاحب الفضيلة يستشعر المسؤولية في اسداء النصح لأبنائه ولإخوتهم الآخرين في الإسلام على حد سواء، وهو كما يقول: "**على نهاية الشوط من هذه الحياة**"، سائلاً المولى -عز وجل- أن يمد في عمره إذا كان في ذلك خير له في دينه ودنياه، ويبدو كما يترآى لي أن "**هذه الوصية أو النصيحة**" أشبه ما تكون بآخر فسيلة في يده عليه أن يغرسها قبل وفاته؛ لعل هناك من يستفيد من ثمرها إذا نمت وأثمرت، مصداقاً لقول الرسول الكريم -عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم-

وهو يوجه أمة الإسلام والمسلمين: **((إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها))** رواه أحمد.

ثم يوجه صاحب الفضيلة –رحمة الله عليه– وصيته ونصيحته إلى كل أبنائه وبناته .. كل باسمه، وفي هذه الالتفاتة دلالة على أن كل واحد منهم أو منهن مسؤول بذاته عن ذاته أمام الله تعالى ﴿**يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ [سورة الانفطار:19].

وهنا تتضح الصورة أكثر، وتتجلى المعاني بشكل أكثر وضوحاً، وهي إشارة قد لا يدركها الجميع، خاصة وأنها اقترنت بالحياة الدنيا، والدعاء لهم ولهن بحياة تعمها السعادة والرفاهية والتوفيق للعمل الصالح، ولكنها تحمل في طياتها إشارات واضحة بأن كل فرد سيأتي يوم القيامة يجادل عن نفسه، فلا أنساب بينهم ولا قرابة.

ولنا في حديث الرسول –عليه الصلاة والسلام– عظة وعبرة عندما خاطب ابنته السيدة فاطمة –عليها السلام– بقوله: **((يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً))** رواه البخاري،

﴿* **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ [سورة النحل:111].

ولقد أشارت الفقرة الأولى من الوصية إلى التكاتف، ونبذ الشقاق والتفكك بين أفراد الأسرة الواحدة، ونصحهم بأن يكونوا "**جميعاً كالشيء الواحد الذي تذهب منفعته عند التجزئة**".

وكما قال الشاعر:

تـأبَى الرمـاحُ إذا اجْتَمَعْنَ تكسُّـــرًا
وإذا افــتــرقْــنَ تــكسَّـــــرتْ آحَــادًا

ففي الوحدة قوة ومنعة، وفي التفكك والتشـــرذم ضـــعف ومهانة، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

كما أوصـــاهم –رحمة الله عليه– ونصــــحهم بأن يتراحموا وأن يتعاطفوا "**وليرحم بعضكم بعضاً، ويعطف بعضكم على بعض**".

وفي الفقرة الثانية تأكيد على أن تقوى الله هي حصانة المسلم بفعل ما أمر الله به، والامتناع عن كل ما نهى عنه، وهي بذلك مفتاح السعادة

في الدارين، كما أكدت الوصية على التحلي بالصبر باعتباره مفتاح الفرج، ولا يدخلن قلب المؤمن يأس ولا قنوط، ولكن إيمان صادق بالله وبقدره خيره وشره، وفي هذه الفقرة أيضاً إشارة واضحة إلى فضيلة الحِلْم، وعلى الإنسان أن يكون حَلِيماً ضابطاً لنفسه عند الغضب، فالحِلْم كما يقال هو سيد الأخلاق، فلا يستفزه قول أو فعل، ولكن يعمل بقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [سورة الأعراف:199]، ويقول سيد مكارم الأخلاق –عليه أفضل الصلاة والسلام–: **((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))** رواه مسلم، ويقول: **((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله))** رواه البخاري.

وكما يقول الشاعر:

رَجِعْتُ عَلَى السَّــــفِيهِ بِفَضْــــلِ حِلْمِي
فَكَـانَ الْحِـلْـمُ عَنْــهُ لَــهُ لِجَـامَـا
وَظَنَّ بِـي السَّــــفَــاهَ فَلَـمْ يَجِـدْنِـي
أُسَــــافِهُــهُ وَقُلْــتُ لَــهُ سَــــلامَـا

فَــقَــام يَــجُــرُّ رِجْــلَــيْــهِ ذَلِــيــلاً

وَقَــدْ كَسَــــبَ الْمَــذَلَّــةِ وَالْمَلامَــا

وَفَضْـــــلُ الْحِلْمِ أَبْلَغُ فِي سَـــفِيــهٍ

وَأَحْــرَى أَنْ يَــنَــالَ بِــهِ انْــتِــقَــامَــا

وصاحب الفضيلة –عليه رحمة الله– وهو "**على نهاية الشوط من هذه الحياة**" فكأني به يستشرف قادم الأيام ومستقبلها، حيث يشير في الفقرة الثالثة من الوصية قائلاً: "**يا بني! إني أرى أنكم في مطلع عصر أو دهر مظلم من ناحية، ومنير من أخرى، فخذوا إلى ناحية النور**"، فبدأ بالظلمة قبل النور، وبالغمة قبل الحبور، وفي ذلك تحذير وأي تحذير مما تخبئه الأيام، فالقادم ليل داج، ونهار ساج .. وبحار ذات أمواج.

ولكنه بالمقابل يترك للنور فسحة، وللأمل نافذة وفتحة، وكأنه يريد أن يقول لأبنائه وبناته خاصة، وأبناء المسلمين وبناتهم عامة: إن العتمة وإن استفحلت، والغمة وإن اشتدت، فإن مع العسر يسراً، وأنه مهما اشتددت وحزبت فإنها لا محالة ستفرج، وهي كما يقول الشاعر:

ضـــاقتْ فلما اســـتحكمَتْ حلقاتُها

فــرِّجَــتْ وكــنْــتُ أظــنُّــهــا لا تــفــرجُ

ولذلك فقد أوصاهم بالأخذ إلى ناحية النور، "**والتحلي بتقوى الله، والخوف منه، ومراقبته في السر والعلن**"، وفي هذا خلاص المؤمن، وتجاوزه لمشكلات العصر ونوائبه، بل إن فيها قربة إلى الله –عز وجل– من تهاون أو قصر فيها، فإنما يؤدي بنفسه إلى التهلكة.

ويستطرد –رحمة الله عليه– ويتوسع في المعاني والموجهات الواردة في الفقرة السابقة، فيهيب بأبنائه وبناته وأبناء المسلمين وبناتهم أن لا يركنوا إلى الدعة والخمول، فما خُلق الإنسان في هذه الدنيا إلا للكد والمكابدة؛ لنيل خيرها وخير الآخرة: "**يا بني! إن هذه الحياة كفاح وعمل لها وللحياة الثانية، فمن جد وجد، ومن زرع حصد**".

وأوصاهم بالاعتماد على النفس بعد الله –سبحانه وتعالى–، في تدبير شؤون حياتهم، مؤكداً على أن العمل شرف المؤمن، وأن من لا يعمل لا شرف له: "**فلا يستنكفن أحدكم من أن يباشر عمله الذي يستطيع أن يباشره من غير مهانة**"، والمرء لا يجد لذة الحياة بحلوها ومرها إلا بالعمل، ولا يجد ذاته الإنسانية ولا يكتشفها إلا بالعمل، أما الاتكال على الآخرين، والعيش من فتات موائد الآخرين فهي المذلة بعينها، وهي المهانة بنفسها.

وتلخص الفقرة الخامسة عدداً من الخصال الحميدة والسجايا المجيدة، والتأكيد على الالتزام بها؛ لأنها خلق المؤمن الصالح والمسلم الملتزم بتعاليم دينه، فالصدق في القول والعمل وحفظ العهد والوفاء به مزية من مزايا المسلم، مصداقاً لقوله –عز وجل– في سورة البقرة: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ**﴾ [سورة البقرة:177]، ولقوله –جل وعلا–: ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [سورة النحل:91]، وتأكيد حفظ العهد والوفاء به كما ورد في سورة الإسراء: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾ [سورة الإسراء:34].

وتؤكد الوصية فيما تؤكد عليه من الفضائل: أداء الأمانة باعتبارها من أهم القضايا التي يجب على المسلم الالتزام بها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الأنفال:27]، وهذه الصفة هي التي فتحت أمام المسلمين الباب على مصراعيه لدخول الناس في دين الله أفواجاً، وكُتُب السِّيَر تزخر بالكثير من الحوادث المرتبطة بهذه القضية.

وتثير الوصية مسألة هي من أهم المسائل في الحفاظ على وحدة الأسرة، وبالتالي على وحدة المجتمع المسلم بشكل عام؛ تلك هي مسألة صلة الرحم، وهي من الأمور المهمة التي أوصت بها الديانات السماوية، ومنها: خاتمة الديانات، وهي: الديانة الإسلامية، والتأكيد عليها في هذه الوصية هو تأكيد على مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام، فقد نصحهم -عليه رحمة الله- بأن يتراحموا، وأن يتوادوا؛ مصداقا لقوله -جل في علاه-: ﴿**وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ**﴾ [سورة الأنفال:75].

فصلة الرحم قيمة سامية من قيم السماء، بها يلتئم شمل الأسرة المسلمة، وبها يحقق المسلم صلته بالله -عز وجل-.

وقد جمع رب العزة بين مفهومي قطع الرحم والفساد في الأرض، وهي من أعظم الخطايا وأقبح الذنوب والرزايا، في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم**﴾ [سورة محمد:22].

وصلة الرحم هي من أقرب الطرق للوصول إلى رضا الله –عز وجل–، وكما ورد في الحديث القدسي: **((أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته))** رواه أبو داود.

إذن: فقطع الرحم من المهلكات ومن كبائر الموبقات، وما أشار إليه هنا –عليه رحمة الله– إلا بعد أن أخذت بلية قطع الرحم تستشري في المجتمع الإسلامي وتسري كالنار في الهشيم في غفلة منا نحن المسلمين.

كما لم تفت على صاحب الفضيلة –عليه رحمة الله– وهو يؤكد على صلة الرحم بين أفراد الأسرة الواحدة أن يؤكد أيضاً على مبدأ إسلامي جليل، لا يقل أهمية عن صلة الرحم، ألا وهو: حق الجار على جاره، وهذا المبدأ هو من مقومات تماسك المجتمع الإسلامي ووحدته وازدهاره، فقد أكد القرآن الكريم على هذا المبدأ الجوهري في العلاقات الاجتماعية الإسلامية في قول الحق –جلت قدرته–: ﴿* **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ**

ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [سورة النساء:36].

حتى لكأن حفظ حق الجار لا يقل أهمية عن مبدأ صلة الرحم، ولذلك نرى في حديث الرسول الكريم –صلى الله عليه وآله وسلم– ما يؤكد هذه الحقيقة في قوله: **((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))** رواه البخاري، أي أنه سيكون أحد أفراد الأسرة المقربين، ومن ذوي صلة الرحم.

فانظر أخي القارئ لعمق وجوهر هذين المبدأين وقربهما في الأهمية بعضهما لبعض: صلة الرحم وحق الجار، وهو ما عمل به –رحمه الله– في وصيته، عندما قال: "**وصلوا الأرحام، واحفظوا حقوق جيرانكم**".

بل إن صاحب الفضيلة وهو يوصي أبناءه وبناته وينصحهم وسع دائرة التعامل الأخلاقي الإنساني، فانتقل من جوهر العلاقة الاجتماعية الإنسانية في صلة الرحم إلى دائرة حفظ حق الجار، ومنها إلى دائرة كيفية

التعامل مع بقية مفاصل المجتمع حتى وإن كانوا أعداء؛ لعل الله بسعة رحمته أن يؤلف بين قلوبهم، وهي نعمة من نعم الله على عباده، ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [سورة آل عمران:103]، وقوله –سبحانه وتعالى– مخاطباً نبيه ورسوله محمداً –صلى الله عليه وآله وسلم– بأن نعمة التأليف بين القلوب هي منة ونعمة من الله جلت قدرته، ليس لأي أحد من البشر نصيب منها: ﴿**وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِين (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم (63)**﴾ [سورة الأنفال:62–63].

والتجربة الحياتية بحلوها ومرها كما عايشها صاحب الفضيلة وأشار إليها في الفقرة السادسة من الوصية تزود المؤمن بدروس وعبر قد لا يجدها بين صفحات الكتب والمؤلفات، ولا في جلسات الوعظ والإرشاد، ولكنه يتلقاها تطبيقاً وممارسة من حياته اليومية، ومعايشته للأحداث، وملازمته لبني البشر، فهناك الطيب والصالح، وهناك الخبيث الطالح،

وهناك رغد العيش، وهناك مرارة العيش وشظف الحياة، وعلى المرء أن يكون عزيزاً محبوباً في قومه، لا يطمع في ما في أيدي الناس، قنوعاً عفيفاً، غير متعال على أحد مهما ارتفعت منزلته في مجتمعه، وهذه النصيحة كما تتضح من مفرداتها وعباراتها تصدر من نفس خبرت الحياة وذاقت "**فيها المرارة والحلاوة**"، فالنصيحة هنا تعكس هذه التجربة التي على الأبناء أن يستوعبوها، وأن يأخذوا بها.

ثم ينصحهم نصيحة الخبير بالحياة الزاهد في ملذاتها المادية ومباهجها: أن يبتعدوا عن التنافس والتزاحم على جيف الدنيا، كما قال أحدهم في وصيته: "**ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين**"، وكما قال غيره يوصي أبناءه: "**ولا تنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تهاوشوا تهاوش السباع على الجيفة**"، وأن يكون تنافسهم في مكارم الأخلاق وعلوها.

كما أوصاهم بمقابلة "**الجميل بالجميل، والإساءة بالإحسان، والقطيعة بالوصل، والزلل بالعفو والصفح**"، وهي من صفات المسلم الحق، بها يتوحد المجتمع المسلم، وبها يقوى عوده وبنيانه.

وتحذر الوصية فيما تحذر من مغبة التهور وعواقبه، وتدعو إلى التأني في اتخاذ المواقف، والتريث في رسم القرارات، وأن تكون خطوات المرء متئدة رزينة، وأن لا ينساق المرء بتهوره إلى المجهول، فيصبح ضحية أقوال وأفعال مستفزة، وأن لا يدفعه الغضب نحو تصرف يندم عليه لاحقاً، ولات حين مندم، **"وعليكم بالأناة في المواقف المجهولة المصير، ومواقف الاستفزازات والغضب"**.

ثم ينصح صاحب الفضيلة –رحمة الله عليه– أبناءه وبناته مخاطباً إياهم بالتبصر في الأمور، وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يقع أحدهم في مكروه أو في منزلق يصعب بعد ذلك تجنبه أو الخروج منه.

ثم أوصاهم كما في الفقرة الحادية عشرة بمواجهة المصاعب والمصائب ونوائب الدهر بالصبر والتجلد، وأن لا يتركوا للحزن أو الاستسلام حيزاً في تفكيرهم، وأن لا يدخل اليأس أو القنوط إلى قلوبهم حتى وإن عظم الخطب وصعب الحل، **"فإن لكل شيء أجلاً محدوداً ينتهي عنده، فاصبروا وصابروا وتجلدوا"** وأن رحمة الله واسعة، فلا قنوط ولا يأس مع رحمة الله: ﴿**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّون**﴾ [سورة الحجر:56].

وتأتي الوصية في الفقرة الثانية عشرة لتؤكد على روح التسامح والمصالحة، وأن يصالح الأخ أخاه بالقلب قبل اليد، وأن يكون الصدق والإخلاص هو الديدن بينهم، و"**ليصافح كل منكم أخاه بقلبه وإخلاص وصدق ونصح**"، وحثهم على التعاون فيما بينهم لما فيه نصرة دينهم وإعزازه، والدفاع عنه، كلٌّ بقدر طاقته واستطاعته، معتمدين في ذلك أولا وآخراً على الله –جل في علاه–.

وتؤكد الوصية في الفقرة الثالثة عشرة على مبدأ إسلامي مهم هو من مقومات الدين وركائزه، ذاك هو: الإخاء والمساواة، وأن لا فضل لمسلم على أخيه المسلم إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ مصداقا لقوله –عز وجل–: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير**﴾ [سورة الحجرات:13].

وجاءت السنة النبوية لتؤكد هذا المبدأ الإسلامي في قول الرسول الكريم –عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم– في خطبة حجة الوداع التي قلنا سابقاً: إنها وصية الوصايا للمسلمين خاصة، وللإنسانية

عامة، حيث أشار لهذا المبدأ بعد الاعتصام بكتاب الله وسنته المطهرة بقوله: **((يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى))** رواه أحمد.

ولما كان العلم يشغل حيزاً مهما في فكر وتفكير صاحب الفضيلة –رحمة الله عليه–، وبالذات العلم الشرعي، فقد أفرد له فقرة كاملة قال فيها: **"يا بني! علموا أولادكم، وفقهوهم في الدين، علموهم ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم، واعلموا أنها ستكون لهم أوقات ليست كأوقاتكم، وأزمنة ليست كأزمنتكم .. إلخ"**، وهذا في نظري منتهى العقل والتعقل والبصيرة في استشراف قابل الأيام، وقد ورد الكثير في هذا المنحى من السلف الصالح، حول أهمية العلم، وتعليم النشء الغض والشباب اليافع بما ينفعهم في حاضرهم ومستقبلهم.

والعلم نور يستضيء به المسلم، أكد عليه الحق –تبارك وتعالى– في قوله: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [سورة الزمر:9]، ويقول النبي –صلى الله عليه

وآله وسلم- في أهمية اكتساب العلم والمعرفة والتفقه في الدين: **((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))** رواه البخاري ومسلم.

وقيل في العلم وأهميته في حياة المرء في دينه ودنياه هو: "**الذخر الذي قليله يشفع وينفع، وكثيره يعلي ويرفع**".

وتفرد الوصية فقرة خاصة بالإحسان إلى الزوجة؛ لما لها من مكانة ومنزلة هي أحق بها من كل أفراد الأسرة، فهي الستر للزوج، وهي عماد البيت، وهي الأم والمربية والمعلمة، بفقدانها تفقد الأسرة ركيزتها الأساسية، فإن هي صلحت وصلحت علاقتها بزوجها سعدت الأسرة، وإن هي أكرمت أكرمت الأسرة، بل إن الوصية توصي الزوج بمصابرتها، وإعانتها عند الحاجة إلى المعونة، وعندما تصل الأمور إلى طريق مسدود بين الزوجين -لا سمح الله-: ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [سورة البقرة:229]، وحذر من إمساك المضارة، "**فإنه ليس من شيم الكرام**"، كما تنص الوصية.

وكل ما ورد من مفاهيم ومعاني حول الزوجة ينطلق من جوهر تعاليم الإسلام الحنيف، وشريعته السمحاء، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المحمدية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

وتعود الوصية في ختامها من حيث بدأت في مقدمتها للتذكير بالمصير الحتمي للحياة الدنيا، وأنها دار فناء ومزرعة للعمل الصالح ليؤتي ثماره سعادة في الدار الآخرة، حيث يوصي صاحب الفضيلة بنيه بقوله: "**فكونوا من عمال الخير والصلاح؛ لتأتوا غدا حاملين وسام الخير**"، وهذه العبارة تأتي استجابة لما يقوله رب العزة والجلال في الحديث القدسي: **((يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))** رواه مسلم.

ويختم صاحب الفضيلة –عليه رحمة الله– وصيته لبنيه بآي من القرآن الكريم تلخص حياة البشرية في هذه الدنيا الفانية وزينتها، والهدف من العيش المؤقت فيها، وما المطلوب من الإنسان قبل يوم قيامته، وقبل يوم العرض على الله –سبحانه وتعالى– يوم ﴿**تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة:281].

الخلاصة:

ونخلص إلى القول من كل ما سبق استعراضه:

1- أن الوصية الشرعية قد ترتقي من الجائز شرعاً إلى الواجب شرعاً، خاصة لمن كان في موقع المسؤولية الشرعية من أولي الأمر؛ لذلك فإن وصية صاحب الفضيلة –عليه رحمة الله–، وإن كانت لأبنائه وبناته ومن يليهم من الذرية خاصة، فهي بما احتوته من مضامين وموجهات تخاطب المسلمين عامة، وكأني بصاحب الفضيلة –رحمه الله– يريد أن يؤدي الأمانة من موقع المسؤولية الشرعية.

2- أننا في زمن نعتقد فيه أن إسداء النصيحة وبالذات لمن هم تحت مسؤوليتنا شرعاً يعد من أوجب الواجبات، خاصة بعد أن بدأت المعتقدات تهتز، وبدأت القيم تشوه، وأخذت حياة العصر وربما حياة المستقبل تتجه نحو أفكار وعلاقات مادية بحتة، ضاربة عرض الحائط بتعاليم السماء وقيم الإنسان.

3- هناك أمور نغفلها وربما أحيانا نتغافل عنها مع تعقيدات الحياة تتعلق بأمور ديننا ودنيانا وآخرتنا؛ لذلك فإن التنويه إليها والإشارة لها من أولياء أمورنا خاصة وعامة هي من أولويات واجباتهم تجاه أبنائهم خاصة وأبناء المسلمين عامة، فمنا من يغفل تقوى الله ومخافته، ومنا من يغفل حق الرحم وصلته، ومنا من يغفل حق الجار لجاره، وغيرها من القضايا التي أكد عليها الشرع، وصرحت بها آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

4- الاعتراف لصاحب الفضيلة بفضله عليَّ من خلال قراءتي للوصية فقرة فقرة وربما جملة جملة، والفائدة التي استفدتها فيما يخص علاقتي بربي أولاً، ثم علاقتي بالناس ثانياً، وأسأله تعالى أن تكون هذه الفائدة في ميزان حسنات صاحب الفضيلة –رحمه الله–، الذي ندعو له دائماً بالرحمة والمغفرة، وأن يكون من ورثة جنة النعيم بفضل من الله ورحمة.

5- أن تكون هذه الوصية والقراءة التي كتبتها عنها بمثابة وصية لأبنائي وبناتي وزوجتي ولكل من له صلة رحم بي ولكل من يعزني وأعزه ويودني وأوده، استجابة لما أشار إليه صاحب الفضيلة -رحمه الله- في بداية الوصية: أنها موجهة لأبنائه وبناته "**وأولادهم وأولاد أولادهم ما تناسلوا**"، وما أقوله هنا إنما هو استجابة ونزولاً عند توجيهه ورغبته، وامتثالاً لما أوصى به.

رب اغفر لي ولوالديَّ ولوالدي والدي، وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الانتهاء من كتابة هذه السطور صباح يوم الإثنين،
السادس من شعبان، لعام (1441 هجرية)، الموافق
للثلاثين من مارس، لعام (2020 ميلادية).

نص الوصية:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص:88].

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على خير خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فأوجه وصيتي ونصيحتي هذه إلى أولادي الميامين البارين، وهم: عبد الرحمن ومحمد وعلي وعوض وسعيد وأحمد وعمر وسالم، وعائشة وآمنة ونور وصفية، وأولادهم وأولاد أولادهم ما تناسلوا، سائلاً المولى تعالى لهم حياة طويلة في سعادة ورفاهية، وتوفيق للعمل الصالح الذي يرضيه ويرضي رسوله –صلى الله عليه وآله وسلم–.

وها أنا أكتب هذه الوصية أو النصيحة وأنا على نهاية الشوط من هذه الحياة، وفي آخر العقد السابع من العمر، ولي أمل ورجاء فيه تعالى أن يمدني في العمر ما دام ذلك خير لي في ديني ودنياي، وأن يمتعني بسمعي وبصري، وسائر قواي ما دمت حياً.

(1) يا بني! أوصيكم وأنا في هذه اللحظات التي أحسبها الأخيرة من حياتي، وعلى وداع من الحياة الفانية، واستقبال للحياة الباقية، وصية أب رحيم بأبنائه، مشفق بهم .. يا بني! كونوا جميعاً كالشيء الواحد الذي تذهب منفعته عند التجزئة، وليرحم بعضكم بعضاً، ويعطف بعضكم على بعض، وليدافع بعضكم عن بعض، وليشاور بعضكم بعضاً فيما تطلب المشورة فيه.

(2) يا بني! إني قد خبرت الكثير من شئون هذه الحياة، فلم أجد كتقوى الله حصانة، وكالصبر معيناً، وكالحلم رفعة وجمالاً، وكالخلق الحسن زينة.

(3) يا بني! إني أرى أنكم في مطلع عصر أو دهر مظلم من ناحية، ومنير من أخرى، فخذوا إلى ناحية النور، واسعوا إليها بكل ما استطعتم من وسائل، ألا ولا شيء لتيسير الأمور، والتغلب على المشكلات، وتذليل الصعاب، والخروج من المآزق، أفضل من: التحلي بتقوى الله، والخوف منه، ومراقبته في السر والعلانية.

(4) يا بني! إن هذه الحياة كفاح وعمل لها وللحياة الثانية، فمن جد وجد، ومن زرع حصد، ومن أهمل ندم، ومن فرط خسر، واعتمدوا

في شؤونكم بعد الله على نفوسكم، فإن الاعتماد على النفس بعد الله وسيلة إلى النجاح، ولا يستنكفن أحدكم من أن يباشر عمله الذي يستطيع أن يباشره من غير مهانة.

(5) يا بني! عليكم بالصدق في الحديث، الحفظ للعهد، والأداء للأمانة، وصلوا أرحامكم، واحفظوا حقوق جيرانكم، واحذروا أعداءكم، وعاملوهم كأصدقاء، وكونوا رحماء أوفياء، صاحبوا الأخيار، وابعدوا من الأشرار.

(6) يا بني! جرت لي في هذه الحياة أحداث وتجارب ذقت فيها المرارة والحلاوة، فالعزيز المحبوب فيها هو من لم يطمع في ما في أيدي الناس، ولم يفرض استعلاءه لامتيازه عليهم.

(7) يا بني! اتركوا المزاحمات والمنافسات، إلا في المكارم والفضائل، ومعالي الأمور.

(8) يا بني! كافئوا وقابلوا الجميل بالجميل، والإساءة بالإحسان، والقطيعة بالوصل، والزلل بالعفو والصفح.

(9) يا بني! لا تدخلوا في شيء إلّا بعد أن ترسموا طريق المخرج منه، وعليكم بالأناة في المواقف المجهولة المصير، ومواقف

الاستفزازات والغضب.

(10) يا بني! تبصروا في الأمور، وخذوا الحيطة لها، واعلموا أنه لا يغني حذر من قدر.

(11) يا بني! لا يتغلبن عليكم الحزن عند المصيبة، ولا تستسلموا للحوادث وإن عظم الخطب، ولا تيأسوا وإن صعب الحل، فإن لكل شيء أجلا محدودا ينتهي عنده، فاصبروا وصابروا، وتجلدوا وحاولوا بكل وسيلة، معتمدين على الله، حاذين حذوا القائل:

لأَسْـتَـسْـهِلَنَّ الصَّـعْبَ أَوْ أُدْرِكَ المُنى

فَـمَـا انْـقَـادَتِ الآمَـالُ إلاَّ لِصَـــابِـرِ

(12) يا بني! ليصافح كل منكم أخاه بقلبه وإخلاص وصدق ونصح، ثم قابلوا إخوانكم المسلمين بمثل ذلك، وتعاونوا على خدمة دينكم، وإعزازه، والدفاع عنه بكل ما تملكون من إمكانيات.

(13) يا بني! لا تستحقروا أحداً من إخوانكم المسلمين مهما كان، فإن الإسلام سوَّى بين أبنائه، وجعلهم أخوة وأسرة واحدة بعضهم من بعض، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

(14) يا بني! علموا أولادكم، وفقهوهم في الدين، علموهم ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم، واعلموا أنها ستكون لهم أوقات ليست كأوقاتكم، وأزمنة ليست كأزمنتكم، فزودوهم من العلم بما يساعدهم على مواجهة أوقاتهم وتقلباتها.

(15) يا بني! أحسنوا إلى زوجاتكم وأمهات أولادكم، وأحسنوا معاشرتهن، وأكرموهن، فإنهن لباس وسكن لكم، وقائمات بعبء ثقيل في تربية أولادكم، وشؤون بيوتكم، فصابروهن واصبروا عليهن، وأعينوهن على أعمالهن عند الحاجة ما استطعتم، وإذا لا سمح الله وجد ما يسبب عدم استمرار الانسجام ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [سورة البقرة:229]، واحذروا من إمساك المضارة، فإنه ليس من شيم الكرام.

(16) يا بني! هذه وصاياي ونصائحي أقدمها لكم خاصة، وآمل من كل من اطلع عليها من غيركم أن يأخذ منها ما يرغب في الانتفاع به، وهي كما ترونها مجملة، كإشارات إلى نواحي كثيرة مما يجب أن [يتحلى] الإنسان به.

(17) يا بني! أعود مرة أخرى أذكركم بعاقبة هذه الحياة ومصيرها الحتمي؛ لأنها ليست إلَّا وسيلة للدار الأخرى، وسبيلاً إليها، ولا يبقى من كل ما فيها إلا العمل الصالح، والناس مجزيون غدا بأعمالهم، فكونوا من عمال الخير والصلاح؛ لتأتوا غدا حاملين وسام الخير، نائلين من الله الجزاء الأوفى.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (46)﴾ [سورة الكهف:45-46]

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة:105].

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:281].

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس:83].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون (180) وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِين (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين (182)﴾ [سورة الصافات:180–182].

عبد الله عوض بكير

1392هـ

فهرس المحتويات